

القدرة العربية المتنامية على مجابهة الاعداء

أيها الرفاق^(١)

ان سعادتني بلقائكم ولقاء الحزب في هذا القطر سعادة عميقة، وهي مزدوجة بمعنى ان سببها اولاً أن ألمس هذا التقدم الجدي الذي حققه الحزب وثورته في العراق. تقدم يبعث على الامل والتفاؤل. . تقدم هوللقضية الكبرى كلها، هو للامة العربية كلها.

في أقل الاحتمالات أيها الرفاق عندما يكون قطرُ بوزن العراق ناهضاً متقدماً مطرد النمو والتقدم على كل المستويات فذلك كسب للامة العربية، فكيف اذا كان هذا التقدم موجهاً من قبل حزب البعث العربي الاشتراكي المؤمن بوحدة القضية ووحدة الامة ووحدة الثورة.

والسبب الثاني لسعادتني بلقائكم ولقاء الحزب في العراق هو أن هذا اللقاء جاء في ظرف مصيري، في ظرف له وجه قاتم هو وجه التآمر الاستعماري الصهيوني الرجعي، وجه الاخطار التي لايجوز ان نستخف بها ولكن له وجهاً آخر مشرقاً هو أن أمتنا في هذه الآونة وبعد الحرب القصيرة التي خاضتها في تشرين والتي تأمرت قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية على خنقها قبل أن تأخذ مداها، أقول أن أمتنا خرجت منها أشد ثقة بنفسها من أي وقت مضى، فلئن كانت الاخطار كبيرة فان القوة العربية تزايد وتتنامى بعمق من الداخل، من الاعماق بشكل لا يستطيع الاستعمار مهما أتقن حيله وأساليبه ان يؤخر هذا النمو. اذ لو كان للاستعمار مثل هذه القدرة

(١) حديث مع الرفاق السوريين في بغداد في ٢٣/٦/١٩٧٤

لوجب ان يظفر بأمتنا عندما نزلت بها تلك الهزيمة غير العادية في حزيران ١٩٦٧ وما تلاها من سنوات اليأس والتردي . كانت الظروف ملائمة جداً لقوى الاعداء ولمخططات الاعداء لكي تجهز على الامة العربية لو أنها أمة يمكن ان تغلب . ولو أنها لا تستند الى معين لا ينضب من القوة العميقة تستمدتها من حاضرها ومن ماضيها، من حاضرها المليء بالآلام والعبر، ومن ماضيها المليء بالشواهد والادلة على طاقاتها الخارقة، على قدراتها، على صمودها . فاذا كانت هزيمة حزيران لم تقتلنا فهل يستطيع الاعداء ان ينالوا منا وقد كدنا نحقق انتصاراً كاملاً لولا تخاذل القيادات، بعض القيادات التي تعرفونها، ولولا ارتباطاتها المشبوهة ولولا عجزها عن فهم وتقدير امكانيات الجماهير العربية التي لا تنضب .

فاذا اردنا ان نرسم صورة للمستقبل، للعمل في المستقبل فلا بد أن نضع هذه الحقيقة في رأس خطتنا وهي أنه لم يعد من مبرر لليأس، لم يعد من مبرر للهروب، لم نياس في أحلك الظروف فجدير بنا عندما برهنت الجماهير العربية على أصالتها وعلى شجاعتها وعلى قدرتها اللامتناهية في البذل والتضحية، جدير بنا ان نعمل بنفس طويل وبأمل كبير وان نجمع بين الرصانة والحماسة، بين النضج وبين حرارة الثورة والنضال . لم يعد يليق بالمناضلين ان يتصرفوا تصرف النزق والغضب، تصرف اليأس . ان القوة العربية الجديدة التي كشفت عنها الحرب الاخيرة ليست قوة مادية فحسب، هي قوة اخلاقية، هي بطولة وهي استيعاب لقدرة الامة، بمعنى وجودها منذ الماضي البعيد والى المستقبل البعيد . هي تجربة اخلاقية وهي ايضاً كفاءة علمية ونضج علمي ما كان يمكن ان تتحقق تلك النتائج لولا ذلك المستوى الجديد الذي بلغته الجماهير العربية والامة العربية عامة من النضج العقلي ومن الكفاءة العلمية التي وصلت اليها بسرعة غير عادية نتيجة الوطأة الثقيلة لهزيمة حزيران على النفس العربية . لقد كانت حافزاً ومحرضاً نقلت النفوس والارادات من مستوى الى مستوى آخر، فكانت تلك الثمرة الطيبة .

أيها الرفاق

ان واقع التجزئة ليس بالواقع السهل وليس بالواقع السطحي، وما أظن ان

الحزب استخف بهذا الواقع يوماً من الايام فإذا كنا نقول سوريا والعراق ومصر فلأن هذه الكيانات تمثل واقعاً جدياً لا بد ان ندخله في حسابنا، في التخطيط لكل نضال قومي . وأن فهمنا لواقع التجزئة ولواقع الكيانات القطرية هو الذي يساعدنا على تخطيطها في المستقبل ، هو الذي يسهل عملية الوحدة العربية في المستقبل وليس تجاهل هذا الواقع هو الذي يسهل الوحدة العربية، فإذاً هناك واقع، هناك شيء إسمه سوريا، وقد كان لسوريا دور رئيسي في النهضة العربية الحديثة، في الحركة القومية منذ بداية القرن . وليس نشوء حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا من قبيل الصدف، فكيف لايركز الاعداء كل اسلحتهم التأميرية على هذا القطر الذي كان مصدر إشعاع للوعي القومي، وقد ازدادت اهميته بقيام الدولة الغاصبة الدخيلة . . اسرائيل، وقد بلغت اهمية سوريا الذروة عندما قامت الوحدة بينها وبين مصر عام ١٩٥٨، وانتم ابناء القطر السوري تعرفون بأن سوريا كان لها الدور الاكبر في تحقيق تلك الوحدة بقيادة الحزب بلا شك، ولكن جماهير سوريا المشبعة بفكرة الوحدة وبحب العروبة وبآمال الوحدة هي التي ظلت تناضل وتضغط وتملاً الجو العربي بالنداءات والشعارات والمعارك النضالية حتى مهدت وخلقت عوامل الجذب لمصر وللقيادة المصرية في ذلك الحين لكي تقدم على خطوة كانت تعتبر أقرب الى المستحيل، وتعرفون ماذا كانت تعني هذه الوحدة بين سوريا ومصر المحيطتين باسرائيل من الشمال والجنوب، مصر بوزنها البشري الحضاري الكبير وسوريا بوزنها المعنوي الكبير جداً في تمثيلها لأعلى مستوى من الوعي القومي الثوري، قد يكون الاستعمار والصهيونية قد فوجئا بقيام تلك الوحدة التي تمت فعلاً في أيام، في مباحثات لم تتطلب اكثر من ايام وحسب عقلية الاستعمار وعقلية حتى الدول الصديقة ولكن التي يصعب عليها فهم النفسية العربية والظروف العربية، أستطيع أن أقول ان الوحدة كانت مفاجأة للعدو والصديق على حد سواء . ولكن العدو بدأ منذ اليوم الثاني للوحدة يعد لتخريبها وللانقراض عليها، وطبعاً لا يستطيع الاعداء ان يخربوا الا اذا وجدوا ثغرات وأخطاء داخلية ينفذون من خلالها، ولما نفذت جريمة الانفصال انكششت مصر ولكن لم ينلها شيء كبير من هذا التخريب، فشعبها كما

تعرفون متجانس وبعد الصدمة الاولى استطاعت القيادة في مصر ان تسترد الزمام، ولكن سوريا كانت بلا قيادة، وكانت في وضع داخلي مجزأ مفرق واستطاع الاستعمار واستطاعت الصهيونية ان يمينا في التخريب من الداخل، ومنذ ذلك الحين فقدت سوريا الشيء الكثير من سيطرتها على نفسها وعلى مقدراتها وانكفأت الى مواقع الدفاع والانشغال بمشاكلها الداخلية بدلاً من أن تكون في مواقع الهجوم، في مواقع الاشعاع على غيرها من الاقطار، بدلاً من ان تتابع دورها القيادي الذي كان لها. في تلك الظروف حدثت الانقلابات التي نتج عنها اشتراك حزبنا في الحكم دون ان تكون له السيطرة الفعلية على الحكم فقد كان اسمه يُستغل، ورصيده يُستهلك اما القيادة فكانت لغيره وهكذا بقي الحزب يقاوم مقاومة يائسة حتى كانت الغلبة للمتأمرين وللمشبهين، ولكننا اعتبرنا تلك النكسة ذات وجه ايجابي ثمين لانها انقذت الحزب من الالتباس، صحيح ان الحزب اصبح بعد ٢٣ شباط مطارداً مقهوراً، كثير من مناضليه في السجون يتحملون ما لا يحتمل ولكن ميزة واحدة كان بإمكانها ان تعادل كل تلك العذابات والسلبات هي ان تبرئ صفحة الحزب امام الجماهير العربية في سوريا وفي سائر الاقطار، وان تجلوجه الحقيقة، لان الحكم في تلك السنوات لم يكن حكم حزب البعث، كان حزب البعث مشاركاً بشكل من الاشكال كان يحاول ويكابر ويقاوم الفساد ويقاوم عملية التخريب والتمزيق والترزيف الواسعة للحزب، عملية لم يكن لها مثيل في سابق تاريخ الاحزاب. وقد كانت هناك التباسات كثيرة مسيئة لسمعة الحزب ولرصيده قضت على الشيء الكثير من الثقة التي كان يتمتع بها لدى الجماهير ولما حدثت النكسة ركز الحزب على الناحية الايجابية هذه ان يعيد صلته الايجابية بالجماهير، ان يبرهن للجماهير ان ذلك الحكم لم يكن حكمه وأن هذا التلطيح لوجه الحزب وسمعته لم يكن من عمله وانما كان مدسوساً بغية تخريب الحركة الوحدوية التي تخيف الاستعمار والصهيونية اكثر من أية حركة سياسية واكثر من أي زعيم او قائد مهما بلغ من النفوذ لأن الزعيم يمكن ان يقضى عليه بشكل من الاشكال ولكن حزب الثورة العربية هذا الذي كان يخيف الاعداء لذلك كان تركيز الاعداء على سوريا من وزن رهيب لكي يقضوا على

الحزب قضاء نهائياً بتسويد صفحته، بقلب مفاهيمه، بنزع ثقة الجماهير منه الى الأبد وهكذا يكونون قد بلغوا غايتين في آن واحد ان يقضوا على الحزب وعلى القطر الذي له دور قيادي في المعركة القومية .

أيها الرفاق

لا اريد ان أنسى نفسي ، واخشى ان استرسل وأطيل ، ولنا لقاءات مقبلة نستطيع ان نتابع فيها هذه النظرة وحسي ان اقول: بأن فكرة الحزب هي من معدن هذه الامة العربية لا يسهل القضاء عليها، ليس من السهل ان تُجتث وان تُقتل ، فاذا استطاعوا ان يقمعوها في قطر فانها تظهر في آخر وهكذا يأخذ نضال رفاقنا في العراق هذا المعنى لانه هو الثأر وهو المتابعة والاكمال لرسالة الحزب، الى أن يأتي اليوم الذي نستغني فيه عن التسميات القطرية ونرفع اسم الوحدة بين هذين القطرين اللذين يشكلان وحدة طبيعية بكل معنى الكلمة .

والسلام عليكم

٢٣ حزيران ١٩٧٤